التعاون الدولي في البحث العلمي لتنمية الصحراء والأراضي القاحلة.



الدكتور الوالي عيلال.

رئيس و مؤسس المؤتمر الدولي حول اقتصاديات الصحراء. الداخلة، المغرب.

أستاذ جامعي بالمدرسة الوطنية للتجارة والتسيير بالداخلة.

رئيس جمعية " رواد الصحراء " – الداخلة. " Desert Action ".

icded2018@gmail.com Youtube Channel

إن تعزيز الجهود البشرية من أجل التعاون في البحث العلمي حول الصحراء، الأراضي القاحلة والمناطق الجافة له على الأقل مكسبان مهمان. ترتبط الفائدة الأولى بسعينا لاستكشاف، استغلال (المعادن والمواد الأولية) واستيطان الفضاء الخارجي، وبالتالي بمستقبلنا على المديين المتوسط والطويل. أما المكسب الثاني فهو مرتبط ارتباطًا وثيقًا بالتحديات الأكثر إلحاحًا التي نواجهها حاليًا على الأرض.

في سبيل زيادة فرص نجاح الاستيطان البشري في الفضاء، وبسبب التكلفة الباهظة للتجارب الحقيقية في هذا الفضاء الخارجي، من الأجدى فهم ودراسة صحارينا الأرضية بشكل مكثف. في الواقع الكواكب التي تم استكشافها حتى الآن هي عبارة عن صحارى، على أمل أن لا يستمر الحال هكذا، لكن هذه الكواكب تتوافق مع تعريف المناطق القاحلة. بالنظر إلى أوجه التشابه بين صحاري الأرض وصحاري الفضاء الخارجي، فإن التجارب و عمليات المحاكاة الفضائية على صحاري الأرض أقل تكلفة من الناحية الاقتصادية. لن يكون علينا فقط توسيع نطاق البحث العلمي والتكنولوجي حول الصحراء حتى نكون مستعدين لفعل الشيء نفسه في الفضاء، بل نحن مطالبون أيضًا بتعميق البحث في اقتصاد الصحراء، ثروتها، مواردها و أساليب إدارتها، لأن هذا طريق مختصر لمحاولة إدراك مستقبل صناعة الفضاء واقتصاد الفضاء. وقد بدأت بالفعل العديد من الأنشطة ذات الصلة باقتصاد الفضاء، مثل السياحة الفضائية والأنشطة الاقتصادية المتعلقة بالفضاء (مراكز إطلاق الصواريخ، المحطات الصحراوية للتجارب والمحاكاة الفضائية...).

قد تقودنا قفزة نوعية محتملة في اتجاه استكشاف وغزو الفضاء الخارجي واستغلال موارده إلى مراجعة أهم المسلمات و الفرضيات التي تستند إليها أنظمتنا الاقتصادية، وقد تؤدي إلى قلبها رأساً على عقب. على سبيل المثال، ماذا سيكون رد فعلنا فيما يتعلق بمفهوم الندرة إذا وصلنا إلى كوكب ضخم يتكون من نسبة كبيرة من أحد المعادن التي نعتبرها نادرة على الأرض (الذهب مثلا)؟ ما هي التحولات الجذرية الأكثر استفزازًا و لفتًا للانتباه التي قد تطرأ على اقتصادياتنا إذا أصبح مثل هذا السيناريو حقيقة؟

في سياق دولي يتسم بزيادة مساحة الصحراء و الأراضي الجافة (التصحر) بفعل الجفاف و التغيرات المناخية، فإن المكسب الثاني لتكثيف التعاون الدولي في البحث العلمي حول الأراضي القاحلة يكمن في تحفيز تنميتها المستدامة. كما أنه سيساعد في التعامل بنجاح مع بعض التحديات الكبيرة المشتركة التي نواجهها اليوم على الأرض، مثل ندرة المياه (الإجهاد المائي)، أزمة الطاقة، ونقص الغذاء (الأمن الغذائي).

تعد الصحارى الساحلية (الصحراء المغربية الأطلسية ،مثلا) المكان المثالي حيث تكون المشاريع التي تدمج بين الماء، الطاقة والغذاء أكثر استدامة، ذات موثوقية وبكلفة اقتصاديَّة معقولة. تتوفر في الصحراء الساحلية أربع ميزات مشجعة: القرب من المحيط أو البحر، كمية عالية من الإشعاع الشمسي على مدار العام، هبوب رياح قوية في اغلب الأوقات، بالإضافة إلى حقيقة أن تربة هذه الصحاري الساحلية عادة ما تكون خصبة. هذه السمات المميزة ستزيد من تنافسية وستخفض تكلفة الأغذية و الأعلاف الناتجة عن الزراعة الصحراوية (الفلاحة الصحراوية) في الصحارى الساحلية و المروية عن طريق تحلية مياه المحيط أو البحر باستخدام الطاقة الشمسية أو طاقة الرياح. من الحقائق المحفزة السابقة، يمكن الجزم أن توحيد جهود مؤسسات و معاهد البحث العلمي، الجامعات والمنظمات من مختلف البلدان في جميع أنحاء العالم بشأن هذه القضايا المصيرية هو النهج الأكثر فاعلية لتحويلها إلى فرص واعدة في خدمة تنمية الصحراء و مستقبل الإنسانية.